بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله العلي العظيم واجب الوجود ، الحي القيوم الدائم الباقي الملك المعبود، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين، سيدنا محمد الرسول المطاع الامين، المبلغ عن الله دينه القويم بقواطع الآيات والبراهين، وعلى آله واصحابه البررة الكرام، وتابعيهم وتابعي تابعيهم من الأئمة الاعلام ، وبعد فهذه تعليقة لطيفة تشتمل على مسائل من اصول الدين، ينتفع بها ان شاء الله كثير من المبتدئين والمتوسطين ، على مذهب الامام المبجل والحبر المفضل، ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل، الشيباني رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه ، رتبتها على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة اسأل الله حسنها والقبول وبه استعين ٠

(المقدمة ٠ في معرفة الله تعالى)

فتجب معرفة الله شرعاً بالنظر في الوجود والموجود على كل مكلف قادر وهو اول واجب له تعالى ، واول نعم الله الدينية واعظمها — ان اقدره على معرفته ، واول نعم الله الدنيوية الحياة العرية عن ضرر ، وشكر المنعم واجب شرعاً وهو اعترافه بنعمته على جهة الخضوع والاذعان وصرف كل نعمة في طاعته ، ويجب الجزم بانه تعالى واحد فرد صمد عالم بعلم قادر بقدرة مريد بارادة حي بحياة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام — وبأنه تعالى ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ولا تحله الحوادث ولا يحل في حادث ولا ينحصر فيه فمن اعتقد او قال ان الله تعالى بذاته في كل مكان او في مكان فكافر بل يجب الجزم بانه تعالى بائن من خلقه ، فالله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو على ما عليه كان قبل خلق المكان ، وكل شيء سوى الله وصفاته حادث والله سبحانه وتعالى خلقه وأوجده وابتدأه من العدم وجميع افعال العباد كسب لهم وهي مخلوقة لله

تعالى خيرها وشرها والعبد مختار ميسر في كسب الطاعة واكتساب المعصية ومشيئة الله تعالى وارادته ليست بمعنى محبته ورضاه وسخطه وبغضه فيحب ويرضى ما امر به فقط . وخلق كل شيء بمشيئته .

(تتمة) الاسلام الاتيان بالشهادتين مع اعتقادهما والتزام الاركان الخمسة اذا تعينت وتصديق الرسول فيما جاء به ، ومن جحد ما لا يتم الاسلام بدونه او جحد حكماً ظاهراً أجمع على تحريمه او حله اجماعاً قطعياً او ثبت جزماً كتحريم لحم خنزير او حل خبز ونحوهما كفر او فعل كبيرة وهي ما فيه حد في الدنيا او وعيد في الآخرة او داوم على صغيرة وهي ما عدا ذلك فسق ، والايمان عقد بالجنان وقول باللسان وعمل بالاركان ، يزيد بالطاعة وينقص هو وثوابه بالعصيان ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل والغفلة والنسيان ويجوز الاستثناء فيه وقال ابن عقيل يسن والمراد لا على الشك في الحال بل في المآل او في قبول بعض الاعمال ونحو ذلك .

(الفصل الاول . في مسألة العلو)

فنقول وبالله التوفيق : مذهب سلف الامة وأئمتها — انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فيثبتون له ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات وينزهونه عما نزه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات اثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فقوله ليس كمثله شيء رداً على الممثلة وقوله وهو السميع البصير رداً على المعطلة ، قال بعض العلماء المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما والمثبت المسلم يعبد رب الارض والسما ، وقد قال في كتابه (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور أم أمنتم

من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال للجارية أين الله قالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها موءمنة . وهذا الحديث رواه مالك والشافعي واحمد بن حنبل ومسلم في صحيحه وغيرهم لكن ليس معنى ذلك ان الله في جوف السماء وان السموات تحصره وتحويه فان هذا لم يقله احد من سلف الامة وائمتها بل هم متفقون على ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته ، وقد قال مالك بن انس ان الله في السماء وعلمه في كل مكان ، وقالوا لعبد الله بن المبارك بماذا نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وقال احمد بن حنبل كما قال هذا وهذا وقال الاوزاعي كنا والتابعون متوافقين نقر بان الله فوق عرشه ونوءمن بما وردت به السنة من صفاته ، فمن اعتقد ان الله في جوف السماء او محصور محاط به او مفتقر الى العرش او غير العرش من المخلوقات او ان استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع جاهل ، ومن اعتقد انه ليس فوق السموات اله يعبد ولا على العرش رب يصلى له ويسجد وان محمداً لم يعرج به الى ربه ولا نزل القرآن من عنده فهو معطل فرعوني ضال مبتدع ، فان فرعون كذب موسى في ان ربه فوق السموات وقال (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذباً) ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق موسى في ان ربه فوق السموات فلما كان ليلة المعراج وعرج به الى الله تعالى وفرض عليه ربه خمسين صلاة ذكر انه رجع الى موسى وان موسى قال له ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان امتك لا تطيق ذلك . الحديث وهو في الصحاح ، فمن وافق فرعون وخالف موسى ومحمداً فهو ضال . قال نعيم بن حماد من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه

فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله تشبيها والله تعالى قد فطر العباد عربهم وعجمهم على انهم اذا دعوا الله توجهت قلوبهم الى العلو لا يقصدونه تحت ارجلهم ولذا قال بعض العارفين ما عارف بالله قط الا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنى يطلب العلو ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، والكلام في هذا المقام وشبهه يتبين بذكر أصل أصيل وهو أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات فكما انا نثبت له تعالى ذاتاً لا تشبه الذوات فكذا نقول في صفاته انها لا تشبه الصفات فليس كعلمه علم أحد ، ولا كقدرته قدرة أحد ، ولا كرحمته رحمة أحد ، ولا كاستوائه استواء أحد ، ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره ، ولا كتكليمه تكليم أحد ، ولا كتجليه تجلي أحد ، والله سبحانه وتعالى قد اخبرنا أن في الجنة لحماً ولبناً وعسلاً وماء وحريراً وذهباً ، وقد قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الآخرة الا الاسماء فاذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه المخلوقات المشاهدة مع اتفاقها في الاسماء فالخالق أعظم علواً ومباينة لخلقه من مباينة المخلوقات اذا اتفقت الأسماء ، والاصل في هذا الباب أن كل ما ثبت في كتاب الله او سنة رسوله وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه على عرشه ونحو ذلك ، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم معناه وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الامة وأئمتها (١) واما ما تنازع فيه المتأخرون من الألفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثلاً قول القائل في جهةٍ او ليس في جهةٍ وهو متحيز او ليس بمتحيز ونحو ذلك من الالفاظ التي تنازع فيها الناس وليس فيها نص لا عن الرسول ولا عن الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا أئمة المسلمين فان هؤلاء لم يقل أحد منهم ان الله في جهة ولا قال هو ليس في

(١) من هنا الى آخر الفصل نقله العلامة السفاريني في شرح العقيدة عن شيخ الاسلام ابن تيمية في التدمرية فراجعه ص ١٧١ ج ١

جهة ولا قال هو متحيز ولا ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم او جوهر ولا قال ليس بجسم ولا جوهر فليس على احد بل ولا له ان يوافق احداً على اثبات لفظة من هذه الألفاظ او على نفيها حتى يعرف مراده . فان اراد حقاً قُبل وان اراد باطلاً رُد ، وان اشتمل كلامه على حقٍ وباطل لم يقبل مطلقاً ولم يرد مطلقاً بل يوقف اللفظ و يفسر المعنى كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغيرهما ، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما اذا أريد بالجهة نفس العرش او نفس السموات ، وقد يراد بها ما ليس بموجود غير الله كما اذا اريد بالجهة ما فوق العالم ، فمن اراد اثبات الجهة الوجودية وجعل الله محصوراً في المخلوقات فهذا باطل ، ومن اراد اثبات الجهة العدمية واراد ان الله وحده فوق المخلوقات بائن عنها فهذا حق وليس في ذلك ان الشيء من المخلوقات حصره ولا احاط به ولا علا عليه بل هو العالي عليها المحيط بها ، وكذلك لفظ التحيز ان اراد ان الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر بل قد وسع كرسيه السموات والارض وان اراد انه منحاز عن المخلوقات أي مباين لها منفصل عنها ليس حالاً فيها فهو سبحانه كما قال ائمة السنة فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه .

(الفصل الثاني . في مسألة الكلام)

فنقول : القرآن كلام الله نزله على محمد صلى الله عليه وسلم معجز بنفسه متعبد بتلاوته والكلام حقيقة الاصوات والحروف وان سمي به المعنى النفسي وهو نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم فمجاز والكتابة كلام حقيقة ولم يزل الله تعالى متكلماً كيف شاء واذا شاء بلا كيف يأمر بما شاء ويحكم ، هذا مذهب الامام احمد واصحابه امام اهل السنة بلا نزاع ومذهب الامام محمد بن اسماعيل البخاري امام المحدثين بلا دفاع وجمهور العلماء ، قاله ابن مفلح في اصوله وابن قاضي الجبل ،

فقولنا معجز بنفسه اي مراد به الاعجاز كما انه مقصود به بيان الاحكام والمواعظ وقص اخبار من قص في القرآن من الامم * دليل التحدي قوله (لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) اي ائتوا بمثله ان ادعيتم القدرة فلما عجزوا تحداهم بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث مثله ، وقولنا متعبد بتلاوته لتخرج الآيات المنسوخة اللفظ سواء بقي حكمها ام لا لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها ، وقولنا والكتابة كلام حقيقة — لقول عائشة رضي الله عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله ولأن من كتب صريح الطلاق يقع عليه الطلاق ولو لم ينوه على الصحيح ، وقولنا ولم يزل الله تعالى متكلما كيف شاء واذا شاء بلا كيف يأمر بما شا ويحكم — لأن الله سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته وقدرته بمعنى انه لم يزل متكلما اذا شاء فان الكلام صفة كمال ومن يتكلم اكمل ممن لا يتكلم ومن يتكلم بمشيئته وقدرته اكمل ممن لا يكون كذلك ، وقولنا والكلام حقيقة الاصوات والحروف الخ — قال الامام الطوفي من الحنابلة انما كان اي الكلام حقيقة في العبارة مجازاً في مدلولها لوجهين احدهما ان المتبادر الى فهم اهل اللغة من اطلاق الكلام انما هو العبارة والمبادرة دليل الحقيقة • الثاني ان الكلام مشتق من الكلم لتأثيره في نفس السامع والمؤثر انما هو العبارات لا المعاني النفسية نعم هي مؤثرة للفائدة بالقوة والعبارة مؤثرة بالفعل فكانت اولى بأن تكون حقيقة وما يؤثر بالقوة مجاز انتهى * ومما يبطل القول بان القرآن هو المعنى النفسي وجوه كثيرة احدها ان الله تحدى الخلق بالاتيان بمثله والتحدي انما وقع بالاتيان بمثل هذا الكتاب بغير اشكال لأن ما في النفس لا يُدرى ما هو ولا يسمى سوراً ولا حديثاً ولا يجوز ان يقال فأتوا بحديث مثل ما في نفس الباري ولأن المشركين انما زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم افترى هذا القرآن وتقوله فرد الله عليهم دعواهم بتحديهم بمثل ما زعموا انه مفترى ومتقول دون غيره وهذا واضح لا

شك فيه . الثاني انهم سموه شعراً فقال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين) ومن المعلوم انهم انما عنوا هذا النظم لأن الشعر كلام موزون فلا يسمى به معنى وما ليس بكلام . فسماه الله تبارك وتعالى ذكراً وقرآناً مبينا فلم يبق شبهة لذي لب في ان القرآن هذا النظم دون غيره . الثالث ان بعض الكفار زعم انه يقول مثله ومنهم من طلب تبديله ونهى بعضهم بعضاً عن سماعه وامروا باللغو فيه ومن المعلوم اليقين ان هذا كله لا يتعلق الا بهذا الكتاب دون ما في النفس فان الكفار ما اعتقدوا ان في نفس الباري شيئاً يريدون تبديله او يزعمون انهم يقولون مثله ولا ينهون عن سماعه مع اشارتهم الى حاضر . الرابع ان الله سمي القرآن عربياً فقال (قرآنا عربيا غير ذي عوج) اي غير مخلوق — وحديثاً فقال (ذرني ومن يكذب بهذا الحديث)وانما يتعلق هذا الوصف باللفظ دون المعنى ، اشار الى هذه الاوجه شيخ الاسلام موفق الدين ابن قدامه صاحب المغنى في كتابه البرهان واطال رحمه الله تعالى ورضي عنه * قال الطوفي رحمه الله تعالى واما قوله تعالى (يقولون في انفسهم) فمجاز لأنه انما دل على المعنى النفسي بالقرينة وهي قوله في انفسهم ولو اطلق لما فهم الا العبارة وكذلك كل ما جاء من هذا الباب انما يفيد مع القرينة ومنه قول عمر زورت في نفسي كلاماً ، واما قوله تعالى (واسروا قولكم او اجهروا به) فلا حجة فيه لان الاسرار خلاف الجهر وكلاهما عبارة عن ان يكون احدهما ارفع صوتاً من الآخر ، واما بيت الاخطل فيقال ان المشهور فيه « ان البيان لفي الفؤاد » وبتقدير ان يكون كما ذكروا فهو مجاز عن مادة الكلام وهو التصورات المصححة له اذ من لم يتصور ما يقول لا يوجد كلاماً ثم هو مبالغه من هذا الشاعر في ترجيح الفؤاد على اللسان .

ادلة السلف على كون الكلام حقيقة هو الاصوات والحروف الكتاب والسنة والاجماع ، اما الكتاب فقول الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) وقال

(وكلمه ربه) وقال (ومنهم من كلم الله) والتكليم هو ما يسمعه المتكلم ويصل الى سمعه والمسموع انما هو الحروف والاصوات لا المعاني . وكذلك قوله تعالى (واذ نادى ربك موسى) والنداء لا يكون الا صوتاً وفي القرآن من هذا كثير .

واما السنة فقول النبي صلى الله عليه وسلم (اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء) وروي ذلك موقوفاً على عبد الله بن مسعود . وروي عبد الله بن احمد في كتاب الرد على الجهمية انه قال يا ابت ان الجهمية يزعمون ان الله لا يتكلم بصوت فقال كذبوا انما يدورون على التعطيل ثم قال حدثني عبد الرحمن ابن محمد المحاربي عن الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال (اذا تكلم الله بالوحي سمع صوته اهل السماء) قال ابو نصر السجستاني وما في رواته الا امام مقبول ، وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يحشر الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد فيناديهم بصوت رفيع غير قطيع) ذكره ابو حذيفة اسحاق بن بشير في كتابه ، وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر اهل الجنة (اذا رأوا ربهم تبارك وتعالى فيناديهم بلذاذة صوته) وقال صلى الله عليه وسلم (من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ومن قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة) قال الموفق في البرهان حديث صحيح .

واما الاجماع فانهم مجمعون على ان موسى سمع كلام الله تعالى بغير واسطة والصوت هو ما يسمع ، وروي عن الصحابة رضي الله عنهم اجمعين اضافة الصوت الى الله تعالى من غير نكير من احد منهم كما تقدم عن ابن مسعود وغيره ، وجاء في الخبر ان بني اسرائيل قالوا يا موسى بم شبهت صوت ربك قال انه لا شبيه له ، وقال ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما اعراب القرآن احب الينا من حفظ بعض حروفه ، وسئل علي رضي الله عنه عن الجنب هل يقرأ القرآن قال لا ولا حرفاً ، وعنه انه قال من كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله ، وقال ابن مسعود ما من

مؤمن يقرأ حرفاً من القرآن ولو شئت لقلت اسماً تاماً ولكن حرفاً الا كتب الله تعالى له عشر حسنات ، واجمعوا على ان من جحد سورة من القرآن او آية او كلمة او حرفاً متفقاً عليه انه كافر قال ابو نصر السجستاني هذه حجة قاطعة انه حروف قاله في البرهان .

فان قيل الصوت لا يكون الا من حرفين والحروف انما تكون من مخارج ولا يوصف الله بذلك فالجواب من وجوه * احدها ان يقال من اين علمتم هذا فان قالوا لأنها في حقنا كذلك فكذلك في حق الله قياساً له علينا قلت هذا خطأ واضح فان الله تعالى لا يقاس على خلقه ولا يشبه بهم ولا تشبه صفاته بصفاتهم ومن فعل ذلك كان مشبهاً ضالا * الثاني ان هذا باطل فان الله قال (وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم — وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء) واخبر ان السموات والارض قالتا (اتينا طائعين) ، واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان حجراً كان يسلم عليه وان الذراع المسمومة كلمته، وقال ابن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ولا خلاف في ان الله قادر على انطاق الحجر الاصم بغير مخارج ولا ادوات * الثالث انه يلزمهم ان يقولوا في سائر صفات الله تعالى كذلك فيقولوا ان العلم لا يكون الا بقلب والبصر لا يكون الا من حدقة والسمع لا يكون الا من انخراق فان طردوا ذلك في الصفات صاروا مجسمين كافرين وان نفوا صاروا معطلين وان اثبتوها من غير ادوات لزمهم اثبات هذه الصفة والا فما الفرق ، وقال الغزالي من احال سماع موسى كلاماً ليس بحرف ولا صوت فليحل يوم القيامة رؤية ذات ليست بجسم ولا عرض انتهى . قال الطوفي في كل هذا تكلف وخروج عن الظاهر بل عن القاطع من غير ضرورة الى خيالات لاغية واوهام متلاشية وما ذكروه معارض بان المعاني لا تقوم شاهداً الا بالاجسام فان اجازوا معنى قيام بالذات القديمة وليست جسماً فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة

وليست جسماً اذ كلا الامرين خلاف الشاهد ومن احال كلاماً لفظياً من غير جسم فليحل ذاتاً مرئية من غير جسم ولا فرق انتهى ، وقال الحافظ ابو نصر السجستاني لو كان الكلام غير حرف وكانت الحروف عبارة عنه لم يكن بد لأن يحكم لتلك العبارة بحكم اما ان يكون احدثها في صدر او لوح او انطق بها بعض عبيده فتكون منسوبة اليه فيلزم من يقول ذلك ان يفصح بما عنده في السور والآي والحروف اهي عبارة جبريل او محمد عليهما الصلاة والسلام .

تتمة . قال الحافظ ابن حجر العسقلاني والذي استقر عليه قول الاشعري ان القرآن كلام الله غير مخلوق مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالالسنة ، قال تعالى (فاجره حتى يسمع كلام الله) وفي الحديث (لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو كراهة ان يناله العدو) وليس المراد ما في الصدور بل ما في المصحف واجمع السلف على ان الذي بين الدفتين كلام الله انتهى ، ولصاحب المواقف عضد الدين رحمه الله تعالى مقالة مفرده في تحقيق كلام الله تطابق ما نقله ابن حجر وقد ذكرها السيد الشريف في شرح المواقف — فقد ظهر ان الشيخ ابا الحسن الاشعري موافق للامام احمد رحمهما الله تعالى في مسئلة الكلام وان ما روي عنه مخالفاً لذلك فهو غلط من الناقل او جهل بما استقر عليه قول الاشعري وقد اتى التاج السبكي في الطبقات في ترجمه أبي الحسن الاشعري باصرح من ذلك فراجعه ان شئت والله اعلم (١)

---

(١) نقل العلامة السفاريني في شرح عقيدته مقالة الامام الاشعري عن كتابه الابانة في اصول الديانة وهي (فان قال قائل قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة —

(الفصل الثالث : في قواعد نافعة ان شاء الله تعالى)

الاولى ان يقال القول في بعض الصفات كالقول في بعض ، فان كان المخاطب ممن يقر بان الله حي بحياة عليم بعلم قادر بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بارادة و يجعل ذلك كله حقيقة و ينازع في محبته ورضاه وغضبه و كراهته فيجعل ذلك مجازاً و يفسره اما بالارادة واما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات قيل له لا فرق بين ما نفيته و بين ما اثبته بل القول في احدهما كالقول في الآخر ، فان قلت ارادته مثل ارادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل ، وان قلت له ارادة تليق به كما ان للمخلوق ارادة تليق به ، قيل لك و كذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به ، وله رضى وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق به ، فان قال الغضب غليان دم القلب للانتقام قيل له والإرادة ميل النفس الى جلب منفعة ودفع مضرة ، فان قلت هذه ارادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق ، وكذلك يلزم بالقول في كلامه وسمعه و بصره وعلمه وقدرته (٢) وان كان المخاطب ممن ينكر الصفات و يقر بالاسماء كالمعتزلي الذي يقول انه حي عليم قدير و ينكر ان يتصف بالحياة والعلم والقدرة قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء

— والتابعين وائمة الحديث فنحن بذلك معتصمون ، و بما كان عليه الامام احمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل ، الذى ابان الله تعالى به الحق عند ظهور الضلال واوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، و كبير مفهم ، وعلى جميع ائمة المسلمين ،) انتهت مقالة الاشعري المنوه بها .

(٢) من اول الفصل الى هنا نقله الشيخ السفاريني عن شيخ الاسلام في التدمرية فراجعه ص ١٨٥ ج ١

وبين اثبات الصفات فانك ان قلت اثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهاً او تجسيماً لأنا لا نجد في الشاهد متصفاً بالصفات الا ما هو جسم قيل لك ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى ، حي ، عليم ، قدير ، الا ما هو جسم ، فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد الا لجسم فأنف الاسماء بل وكل شيء كذلك لانك لا تجده في الشاهد الا لجسم .

الثانية : ان الله سبحانه موصوف بالاثبات والنفي ، فالاثبات كاخبار أنه بكل شيء عليم وأنه سميع بصير ونحو ذلك ، والنفي كقوله تعالى « لا تأخذه سنة ولا نوم » وينبغي ان يعلم ان النفي ليس فيه مدح ولا كمال الا اذا تضمن اثباتاً لأن النفي المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء فضلاً عن ان يكون مدحاً او كمالاً ، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع وهما لا يوصفان بمدح ولا كمال ، ولهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لاثبات مدح كقوله تعالى « الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » الآية ، فنفي السنة والنوم تضمن كمال الحياة والقيام فهو مبين لكمال انه الحي القيوم ، وكذلك قوله « ولا يؤده حفظهما » اي لا يكرهه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف المخلوق القادر اذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة فان هذا نقص في قدرته وعيب فيها ، وكذلك قوله تعالى « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض » فان نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والارض وكذلك قوله تعالى « ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب » فان نفي مس اللغوب الذي هو التعب والاعياء دال على كمال القدرة ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه على مس التعب والكلال ما يلحقه ، وكذلك قوله تعالى « لا تدركه الأبصار » انما نفي الادراك

الذي هو الاحاطه كما قاله اكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤيه لأن المعدوم لا يرى وليس في كونه لا يرى مدح اذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً وانما المدح في كونه لا يحاط به ، واذا علم هذا كان في نفي الادراك من اثبات عظمته ما يكون مدحاً وصفة كمال وكان ذلك دالاً على اثبات الرؤية مع عدم الاحاطة لا على نفيها ، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وائمتها قاله الشيخ في التدمرية .

الثالثة : ان كثيراً من الناس يتوهم في بعض الصفات أو كثير منها او اكثرها او كلها انها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد ان ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في انواع من المحاذير احدها كونه مثل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن ان مدلول النصوص هو التمثيل ، الثاني انه اذا جعل ذلك مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من اثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنايته على النصوص وظنه الشيء الذي ظنه بالله ورسوله حيث ظن ان الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل ، فقد عطل ما اودع الله ورسوله في كلامهما من اثبات الصفات لله والمعاني الالهية اللائقة بجلالة الله ، الثالث انه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب سبحانه وتعالى قاله الشيخ رحمه الله ايضاً .

(الخاتمة)

من تحقيق التوحيد ان يعلم ان الحقوق ثلاثة حق لله لا يشاركه فيه مخلوق وحق لرسوله صلى الله عليه وسلم وحق مشترك بينهما ، فاما حق الله تعالى وحده فكالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى والانابة والرجاء والاستعانة قال الله تعالى (فلا تدع مع الله الهاً آخر) وقال الله تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) فاثبت الطاعة لله

والرسول واثبت الخشية والتقوى لله وحده وقال تعالى(فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين)ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم(لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء محمد) وهذا لان مشيئة الله ليست مستلزمة لمشيئة احد من العباد ، ولا مشيئة احد من العباد مشيئة الله ، بل ما شاء الله كان وان لم يشأ الناس . وما شاء الناس لم يكن ان لم يشأ الله .

واما حق الرسول صلى الله عليه وسلم المختص به فكالتعزير والتوقير والاتباع والالتزام لحكمه قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وامثال ذلك .

واما الحق المشترك بين الله ورسوله فكالمحبة والايمان والتصديق والطاعة قال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال تعالى (والله ورسوله احق ان يرضوه) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) ومن هذا ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوله في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وقد اشار الى هذه الامور الثلاثة العلامة ابن القيم في نونيته بقوله :

لله حق لا يكون لغيره	ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقا واحدا	من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله	وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا	وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى	وكذا الرجاء وخشية الرحمن

وكذا العبادة واستعانتنا به ... اياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بامره ... دنيا واخري حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتهليل والتكـ ... ـبير حق آلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حـ ... ـق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايمان والتصديق لا ... يختص بل حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تجهلوها يا اولى العرفان(1)

قال جامعه هذا آخر ما تيسر جمعه ، اسأل الله العظيم ان يعم نفعه ، وان يجعله خالصا لوجهه الكريم ، مقربا لديه في جنات النعيم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد السادات ، وعلى آله واصحابه اولى الفضل والكرامات ، صلاة وسلاماً دائمين ما دامت الارض والسموات ،

تم نقل هذه النسخة عن نسخة بخط العلامة الجد الكبير
رحمه الله مؤرخة في غرة جمادي الثانية سنة ١٢٢٣
وذلك بقلم الحقير محمد جميل الشطي في
غرة جمادى الاولى سنة ١٣٥٠

---

(١) هذه الابيات هي من نونية الامام ابن القيم التي سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وهي مطبوعة بالهند في مجلد لطيف ويوجد في مكتبتنا شرح عليها في مجلدين ضخمين لعلامتنا السفاريني وهو غير مطبوع ومن اطلع على مثل هذا الكتاب بما حواه من كلام امثال ابن قدامة وابن تيمية والطوفي يجزم بان الحنابلة لم يبقوا لخصومهم حجة ولم يذروا لاعدائهم شبهة رحمهم الله وجزاهم عن الاسلام خيراً كثيراً .